

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 53]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن ذَكَرَ اللهُ تعالى أنه ما أُرْسِلَ من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا قرأ ما أُرْسِلَ به حاول الشَّيْطَانُ إغواءه وإلقاء الشُّكوك والوساوس في قراءته حتَّى يَصُدَّ النَّاسُ عن هذا الوحي الإلهي، وبعدما ذَكَرَ أَنَّ اللهُ تعالى يُبْطِلُ هذه الوسوس الشَّيْطَانِيَّةَ وَيُثَبِّتُ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ؛ وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا حَكَمَ بِهِ مِنْ تَمْكِينِ الشَّيْطَانِ مِنْ هَذَا الْإِلْقَاءِ؛ ذَكَرَ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾⁽¹⁾، فهذه الآية من تمام ما قبلها.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فِتْنَةً﴾: (فتن) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ، وَالفِتْنَةُ مِنَ الْفَتَنِ، وَهُوَ الْإِحْرَاقُ⁽²⁾، يُقَالُ: فَتَنْتُ الذَّهَبَ؛ أَي: أَحْرَقْتَهُ بِالنَّارِ؛ لِتَمْيِيزِ الْجَيِّدِ مِنَ الرَّدِيِّ، وَيُسَمَّى الصَّائِغُ: الْفَتَّانَ، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ⁽³⁾، وَالفِتْنَةُ: الْكُفْرُ⁽⁴⁾، وَالْعَذَابُ، وَالْبَلَاءُ، وَالْإِبْتِلَاءُ⁽⁵⁾، وَالْإِحْتِبَارُ⁽⁶⁾، وَمَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْحُرُوبِ⁽⁷⁾، وَالْمُرَادُ بِالفِتْنَةِ فِي الْآيَةِ: اخْتِلَالُ الْأَحْوَالِ الْمُنْفِصِي إِلَى مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ⁽⁸⁾.

(2) ﴿مَرَضٌ﴾: (مرض) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْفَسَادِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ السَّقَمُ مَرَضًا؛ لِأَنَّهُ حَالَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الطَّبْعِ مُفْسِدَةٌ لِلْبَدَنِ، وَالْمَرَضُ نَوْعَانِ: جِسْمِيٌّ، وَرُوحَانِيٌّ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْكَذِبُ وَالْخِدَاعُ وَالْخِيَانَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ أَمْرًا⁽⁹⁾، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْمَرَضِ:

(1) البقاعي، نَظْمُ الدَّرَر: 72/13.

(2) الخليل، العين: (فتن).

(3) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاقِيُّ الْمُؤَصَّل: (فتن).

(4) ابن سيده، للحكم: (فتن).

(5) الخليل، العين: (فتن).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (فتن).

(7) ابن عتاد، للمحيط في اللغة: (فتن).

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 174/17.

(9) الراغب، المفردات: (مرض).

الدَّاءُ وَالْعِلَّةُ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى: النُّقْصَانِ وَالضَّعْفِ، فَيُقَالُ: بَدَنٌ مَرِيضٌ؛ أَيُّ: ضَعِيفٌ نَاقِصٌ الْقُوَّةُ⁽¹⁾، وَالْمُرَادُ بِالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هُنَا: هُمُ الْمُتَرَدِّدُونَ فِي قَبُولِ الْإِيمَانِ⁽²⁾.

(3) ﴿وَالْقَاسِيَةُ﴾: (قسي) يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ، وَأَصْلُ الْقَسَوَةِ: الصَّلَابَةُ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ: قَسَا الْجِسْمُ يَقْسُو قَسَوًا وَقَسَاوَةً؛ أَيُّ: صَلَبٌ؛ مِنْ ذَلِكَ الْحَجَرُ الْقَاسِي؛ أَيُّ: الصُّلْبُ⁽³⁾، وَالْقَسَوَةُ: الشَّدَّةُ وَالْغِلْظَةُ، تَقُولُ: قَسَا الْقَلْبُ يَقْسُو قَسَوَةً وَقَسَاوَةً وَقَسَاءً إِذَا غُلِظَ وَذَهَبَتْ رِفَّتُهُ، وَضِدُّ الْقَسَوَةِ: اللَّيْنُ وَالرِّقَّةُ، فَالْقَسَوَةُ وَالْقَسَاوَةُ تَوْصِفُ بِهَا الْأَجْسَامُ وَتَوْصَفُ بِهَا النُّفُوسُ الْمُعْبَرُ عَنْهَا بِالْقُلُوبِ؛ فَالْمَعْنَى الْجَامِعُ لِلْوَصْفَيْنِ هُوَ عَدَمُ قَبُولِ التَّحَوُّلِ عَنِ الْحَالَةِ الْمَوْجُودَةِ إِلَى حَالَةٍ تُخَالِفُهَا⁽⁴⁾، وَتَأْتِي بِمَعْنَى: الْيَبْسِ، وَأَرْضٌ قَاسِيَةٌ: يَابِسَةٌ لَا تُتَبَّتُ شَيْئًا⁽⁵⁾، وَالْمُرَادُ بِالْقَاسِيَةِ الشَّدِيدَةِ الْغِلْظَةِ.

(4) ﴿شِقَاقٍ﴾: (شق) أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْصِدَاعٍ فِي الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ وَيُسْتَقُّ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى الْإِسْتِعَارَةِ، تَقُولُ: شَقَقْتُ الشَّيْءَ أَشَقُّهُ شَقًّا، إِذَا صَدَعْتَهُ، وَبَيَّدَهُ شَقُوقًا، وَبِالدَّائِيَةِ شِقَاقًا، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ، وَالشَّقَّةُ: شَطِيطَةٌ تُشْطِطُ مِنْ لَوْحٍ أَوْ خَشَبَةٍ⁽⁶⁾، وَالشَّقَاقُ: الْخِلَافُ وَالْعَدَاوَةُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، يُقَالُ: شَاقَّهُ، مُشَاقَّةً وَشِقَاقًا؛ إِذَا خَالَفَهُ⁽⁷⁾؛ لِأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ فَرِيقَتِي الْعَدَاوَةِ قَصْدَ شَقًّا؛ أَيُّ: نَاحِيَةٍ غَيْرِ شِقِّ صَاحِبِهِ، كَأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ يَحْرُصُ عَلَى مَا يَشُقُّ عَلَى الْآخَرِ⁽⁸⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالشَّقَاقِ فِي الْآيَةِ: الْخِلَافُ وَالْمُنَازَعَةُ.

(5) ﴿بَعِيدٍ﴾: (بعد) أَصْلَانِ، وَهُوَ خِلَافُ الْقُرْبِ، يُقَالُ: بَعُدَ يَبْعُدُ بَعْدًا، ضِدُّ قَرَبٍ يَقْرُبُ قُرْبًا، وَلَيْسَ لِهَمَا حَدٌّ مُحَدَّدٌ⁽⁹⁾، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْمَحْسُوسِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَالْمَعْقُولُ نَحْوُ: ﴿وَالضَّلَّلِ الْبَعِيدِ ۝٨﴾ [سبأ: 8]، وَبَعُدَ بِالْكَسْرِ يَبْعُدُ بِالْفَتْحِ: هَلَكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مرض).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 302/17.

(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (قسو).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 562/1.

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (قسو).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شق).

(7) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (شق).

(8) ابن منظور، لسان العرب: (شقق).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (بعد).

بَعْدَتْ نُمُودٌ ﴿٩٥﴾ [هود: 95]⁽¹⁾، والبعيدُ في الآية مُستعملٌ في معنى: البالغِ حدًّا قويًّا في حقيقته؛ تشبيهًا لانتشارِ الحقيقةِ فيه بانتشارِ المسافةِ في المكانِ البعيدِ⁽²⁾.

✽ المعنى الإجمالي:

القلبُ الذي فيه
مرضٌ والقلبُ
القاسي قلبانِ
مفتونانِ شقيّانِ
مُعَذِّبانِ

من كمالِ حكمةِ الله تعالى أَنَّ مَكْنَ الشَّيْطَانَ من الإلقاءِ المذكورِ؛ لِيَجْعَلَ إلقاءَهُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفَاقٌ، ولأَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي لَا تَلِينُ لِلْحَقِّ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى الصَّوَابِ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنَّ هَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ مِنَ الضَّلَالِ لَفِي عداوةٍ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَبُعْدٍ عَنِ الرَّشَادِ وَالسَّدَادِ، بِمَا لَا مَطْمَعَ لهما معه فِي النِّجَاةِ وَالْفَوْزِ بِرِضَا اللَّهِ⁽³⁾.

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سِرُّ افْتِتَاحِ الْجُمْلَةِ بِإِذْنِ التَّعْلِيلِ:

بيانُ علَّةِ تَمَكِينِ
الشَّيْطَانِ مِنْ
الإلقاءِ وعاقبته

قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ يُشيرُ إلى أَنَّ حكمةَ مَا ألقاهُ الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَةِ الرَّسُولِ أَوْ النَّبِيِّ هِيَ فِتْنَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ⁽⁴⁾، فَهُوَ بَيَانٌ لِأَثَرِ تِلْكَ الْوَسْوسَةِ، حَيْثُ أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَثَرَهَا وَالْحِكْمَةَ مِنْهَا فِي حَقِّ الْكَفَّارِ أَوَّلًا، ثُمَّ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ ثَانِيًا⁽⁵⁾، فَالْجُمْلَةُ عَلَّةٌ لِتَمَكِينِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْإِلْقَاءِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُلْقَى أَمْرٌ ظَاهِرٌ عَرَفَهُ الْمُحَقُّ وَالْمُبْطِلُ⁽⁶⁾، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَجْعَلَ﴾ لَامُ الْعِلَّةِ وَالْحِكْمَةِ،

(1) الزاغب، المفردات، والسَّمين، غمدة الحُفَاط: (بعد).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 302/17.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 86/12، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 446/5، والبقاعي،

نظم الدرر: 72/13، 73، والمراغي، تفسير المراغي: 130/17.

(4) الخطيب، التفسير القرآني: 1068/9.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 241/23.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 76/4، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 114/6، والهريري، حقائق

الروح والريحان: 374/18.

وقيل: هي لَمْ العاقبة⁽¹⁾؛ والمعنى: لتكون نتيجة ترك الشيطان مُسلطاً على الناس يأتيهم من قبل أمانيتهم؛ أي: يجعل سبحانه ما يُلقيه الشيطان من وسوسة وإغواءٍ بمسايرتهم فيما يتمنونه حتى يصلوا إلى ما يُرديهم فتنّة⁽²⁾.

مرجعُ تَعَلَّقِ اللَّامِ:

الأظهر في اللَّامُ في قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أنها متعلّقة، بـ ﴿أَلْقَى﴾؛ أي: ألقى الشيطانُ في أُمْنِيَةِ الرُّسُلِ والأنبياء، ليجعلَ الله ذلك الإلقاء فتنةً للذين في قلوبهم مرض⁽³⁾، وقد تكون اللَّامُ مُتعلّقة بالفعل ﴿فَيَنْسَخُ﴾؛ فإنَّ النَّسخَ يقتضي منسوخاً، وفي ﴿لِيَجْعَلَ﴾ ضميرٌ عائدٌ إلى الله في قوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾؛ فالمعنى: أنَّ الله مكَّن الشيطان من ذلك الفعل بأصل فطرته من يومَ خلق فيه داعيةَ الإضلال، ونسخ ما يُلقيه الشيطانُ بواسطة رُسُلِهِ وآياته؛ ليكونَ من ذلك النَّسخ فتنةٌ: ضلالٌ كفرٍ وهدى إيمانٍ بحسب اختلاف القابليّات؛ فهذا كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝﴾ ... [الجحر: 39 - 40]⁽⁴⁾، وتعلّقها بـ ﴿فَيَنْسَخُ﴾ أرجح لفظاً ومعنى.

صلاحيّة تَعَلَّقِها
بالإلقاء من
الشيطان
والنسخ من الله
معاً

استعارة حرفِ اللَّامِ لمعنى حرفِ الفاء:

حرف (اللّام) في قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ موضوعٌ للتعليل، لكنّه هنا مُستعارٌ لمعنى التّرتّب والعاقبة، مثلُ اللَّامِ في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: 8]، وهي مُستعارةٌ لمعنى التّعقيب الذي حقّه أن يكون بحرف (الفاء)، بطريق الاستعارة التّصريحيّة التّبعيّة؛ أي: تَحَصَّلَتْ عَقِبَ النَّسخ الذي فعله

تصويرُ سرعة
حصول افتتانهم
وانصرافهم عن
التأمّل في أدلّة
نسخ ما يُلقيه
الشيطان

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 527 / 7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 301 / 17.

(2) محمّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5006 / 9.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان: 289 / 5.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 301 / 17.

اللَّهُ فِتْنَةً مَّنْ افْتَتَنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَانْصِرَافِهِمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِي أدَلَّةِ
نَسْخِ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ، وَعَنِ اسْتِمَاعِ مَا أَحْكَمَ اللَّهُ بِهِ آيَاتِهِ، فَيَسْتَمِرُّ
كَفْرَهُمْ وَيَقْوَى⁽¹⁾، وَهَذَا التَّوْجِيهِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ (اللَّامَ) لَيْسَتْ لِلتَّعْلِيلِ
وَالْحِكْمَةِ، وَعَلَى أَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالْفِعْلِ ﴿فَيَنْسَخُ﴾ دُونَ الْفِعْلِ ﴿أَلْقَى﴾.

معنى (الْجَعْلُ) فِي الْجُمْلَةِ الْكَرِيمَةِ:

الْجَعْلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ جَعَلَ نِظَامَ تَرْتُّبِ
الْمُسَبَّبَاتِ عَلَى أَسْبَابِهَا، وَتَكْوِينِ تَفَاوُتِ الْمَدَارِكِ وَمَرَاتِبِ دَرَجَاتِهَا⁽²⁾.

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْأَسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿مَا﴾:

وَرَدَ مَعْمُولُ الْجَعْلِ اسْمًا مَوْصُولًا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيَجْعَلَ مَا يُلْقَى
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ بِلَفْظِ ﴿مَا﴾ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِبْهَامِ وَالْعُمُومِ، فَيُفِيدُ
التَّهْوِيلَ وَالتَّفْخِيمَ لِمَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّةِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ حَتَّى
يُؤَوَّلَ ذَلِكَ إِلَى فِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ.

سِرُّ انْتِخَابِ لَفْظِ الْفِتْنَةِ وَمَجِيئِهِ مُنْكَرًا:

يُرَادُ بِلَفْظِ (الْفِتْنَةِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْامْتِحَانُ الَّذِي يَحْصُلُ
مَعَهُ افْتِتَانٌ؛ وَهِيَ نَوْعَانِ: فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ؛ وَهِيَ أَعْظَمُ الْفِتْنَتَيْنِ، وَفِتْنَةُ
الشَّهَوَاتِ، وَفِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ مِنْ ضَعْفِ الْبَصِيرَةِ، وَقَلَّةِ الْعِلْمِ، وَلَا
سِيْمَا إِذَا اقْتَرَنَ بِذَلِكَ فَسَادُ الْقَصْدِ وَحُصُولُ الْهَوَى، فَهَنَالِكَ الْفِتْنَةُ
الْعَظْمَى، وَالْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى، فَقُلْ مَا شَتَّتَ فِي ضَلَالٍ سَيِّئِ الْقَصْدِ
الْحَاكِمِ عَلَيْهِ الْهَوَى لَا الْهُدَى مَعَ ضَعْفِ بَصِيرَتِهِ وَقَلَّةِ عِلْمِهِ بِمَا بَعَثَ
اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ⁽³⁾؛ وَمَرْضَى الْقُلُوبِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِهَذِهِ
الْفِتْنَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَفِي مَجِيئِ اللَّفْظِ مُنْكَرًا دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ
خَطَرِهَا وَعِظَمِ أَمْرِهَا، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا نَوْعٌ خَاصٌّ مِنَ الْفِتْنَةِ لَا
يُدْرِكُ إِلَّا بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ.

تفخيمُ الابتلاء
تعيينُ لسبب
السُّقُوطِ فِي
حِبَائِلِ الشَّيْطَانِ

بيانُ شِدَّةِ
الابتلاءِ وَعِظَمِ
الاختبارِ بِمَا
أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 301 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 301 / 17.

(3) ابن القيم، إغائة اللفهان: 165 / 2.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ:

جاء بالموصول (الذين) في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ لبيان سفول تلك القلوب عن حدِّ الاعتدال وفسادها، وهي قلوبُ أهل النِّفاق المُتلقِّفون للشُّبُهَةِ الملقون لها⁽¹⁾، فالتَّعْرِيفُ بالموصول هُنا تحقيرٌ لشأن هؤلاء المنافقين؛ وهذا مؤسَّسٌ على أنَّ معنى أنَّ في قلوبهم مرضًا تعريفٌ لهم، وبيانٌ لحقيقتهم؛ شأنُ صلة الموصول.

تحقيرُ شأنِ
المنافقين وبيانُ
سفولِ مرتبتهم

نُكْتَةُ إِسْنَادِ الثُّبُوتِ فِي الْقُلُوبِ لِلْمَرَضِ:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾؛ أي: شَكٌّ ونفاقٌ؛ وهو المناسب لقوله تعالى في المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [البقرة: 10]، وتخصيص القلب بالأمراض كما يدلُّ عليه التَّقديمُ مؤيِّدٌ له؛ لعدم إظهار كُفرهم بخلاف الكافر المُجاهر⁽²⁾، وكذلك القسوة؛ محلُّها القلب؛ وفي إضافة المرض إلى قلوبهم في المعنى وإسناد القسوة إليها دلالةٌ على تمكُّن المرض والقسوة منهم ورسوخهما فيهم.

كونُ القلوبِ
مصدرَ كفرهم
وفسادهم
الخَفِيِّ

معنى المرض المذكور ووجه تنكيره:

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ وشبهةٌ وهم أهل النِّفاق⁽³⁾، فيكون التَّنْكِيرُ في لفظ ﴿مَرَضٌ﴾ لِبَيَانِ النُّوعِيَّةِ؛ والمعنى على هذا: (في قُلُوبِهِمْ نَوْعٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ غَيْرِ الْمَتَعَارِفِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ؛ وهو مرضُ النِّفاقِ والشَّكِّ)، وفي هذا التَّنْكِيرُ أيضًا دليلٌ على التَّعْظِيمِ والتَّهْوِيلِ؛ أي: مرضٌ عظيمٌ له أضرارٌ لا حصر لها.

بيانُ النُّوعِيَّةِ
وتعظيمُ هذا
للرض وتهويله

دلالةُ إِتِّبَاعِ وصف القسوة بعد وصف المرض:

قوله تعالى: ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، ويُراد بـ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركون الجافية قُلُوبُهُمْ عن

(1) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَرِ: 72/ 13.

(2) الألوسي، روح المعاني: 9/ 166.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 241.

قبول الحق؛ ليزدادوا شبهةً ومريّةً فيه وشكاً ورِيّاً فيمَن أنزل عليه، وكفراً وجحوداً بمن أنزله⁽¹⁾؛ فعطف أهل الكفر الجليّ على أهل الكفر الخفيّ من باب التّرقّي.

سِرُّ التّعبير بالصلة الوصفية ﴿وَالْقَاسِيَةِ﴾ دون الصّلة الاسميّة:

الكُفْرُ كُفْرَانٌ؛
كُفْرٌ صَلْبٌ، وكُفْرٌ
مُتَلَوِّنٌ مُتَغَيِّرٌ

تقدير الكلام: (فتنةٌ للذين قَسَتْ قُلُوبُهُمْ)⁽²⁾، كما قيل: ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾؛ ليتشاكل التّعبيران؛ وإنّما عدل النّظم القرآنيّ عن التّعبير بالموصول الاسمي وصلته الاسمية فلم يُقل: (للذين في قلوبهم قسوةٌ) إلى التّعبير بالموصول الاسمي وصلته الوصفية للدّلالة على رسوخ الوصف في قلوب الكافرين، التي يُنبئ عنها اسم الفاعل؛ فإنّ قلوبهم قاسية طبعاً لكنّها ليست مريضةً، فقد تلين لقبول الحقّ، وترجع إلى الصّواب، وترعوي عمّا هي فيه من الغيّ، وأمّا قلوب أهل النّفاق فإنّها تمتاز عن قلوب الكافرين باللّين الذي يُمكنهم من التّلوّن والنّفاق؛ فظهر الفرق بينهما، لكنّ قسوة القلب الطّبيعية قابلةٌ للزّوال بخلاف ثبوت المرض في القلوب، كما تُنبئ عنه الجملة الاسميّة الدّالة على الثّبوت.

بلاغة التّوكيد بر(إنّ) واللام والجملة الاسميّة:

قد يكون تأكيد
الخبر ناظراً إلى
غيره

برز في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ﴾ تأكيدٌ على أنّ الخارجين المتجاوزين عن مُقتضى العقل والشرع باتّخاذهم الجمادات التي قد نحتوها بأيديهم شركاء شُفعاء عنده لفي شِقَاقٍ بعيد⁽³⁾، فأكد النّظم الكريم هذا الخبر بثلاثة زيادةٍ في تقرير الخبر وتقوية الحكم المترتب على أثر إلقاء الشّيطان في نفوسهم المريضة وقلوبهم القاسية؛ ووراء هذا التّأكيد من المعنى تهويلُ شأن

(1) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 6/ 183.

(2) ابن الأنباريّ، البيان في غريب إعراب القرآن: 2/ 178.

(3) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهيّة: 1/ 558.

تلك الفتنة وتفخيمه؛ وكذلك ما تسبَّب عنه الجَعْلُ المذكور في قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى﴾، الآية.

بلادة إظهار لفظ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ في مقام الإضمار:

يريد بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ هؤلاء المنافقين والمُشْرِكِينَ، وأصله (وإنهم)؛ فوضع الظَّاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظُّلم مع ما وصفوا به من مَرَضِ القلوب وقسوتها⁽¹⁾؛ فسَوَّى تعالى بينهم في صفة الظُّلم بعد أن فَرَّقَ بينهم في قوله: ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وللإشارة إلى أَنَّ عِلَّةَ كَوْنِهِمْ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ هِيَ ظُلْمُهُمْ⁽²⁾.

إيثارُ صفة الظُّلم دون غيرها:

عبر السِّياق القرآني عن الذين في قلوبهم مرض من المنافقين وعن القاسية قلوبهم من الكافرين بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ بلفظ (الظُّلم) الدَّالُّ على أَنَّ الفريقَيْنِ قد مارسوا صفة الظُّلم بأنفسهم والمؤمنين والآيات، وتجاوزوا الحدود كُلَّهَا في نفاقهم وكفرهم؛ فهي صفة تجمع الفريقَيْنِ وتشتمل عليهما، وتشعر بنهاية مقبِية ومرتع وخيم؛ فقد تركوا العدل في الحكم والإنصاف في اتخاذ القرار المناسب.

سرُّ انتخاب حرف الظَّرْفِ (في):

مجيءُ الظَّرْفِيَّةِ في قوله تعالى: ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ يُفيدُ المبالغة⁽³⁾، فهم في هذا الشِّقَاق لا ينفكُّون عنه وهو مُحِيطٌ بهم، وهذه المبالغة تصويرٌ لحقيقة حالهم، ولا علاقة لها بزيادة المعنى، ودلَّتِ الظَّرْفِيَّةُ على استعارة مَكْنِيَّة؛ فكأنَّ الشِّقَاق قد شُبِّهَ بمكانٍ دخلوه وعاشوا تحت أسواره لا يستطيعون منه تخلصاً وفكاً.

التَّسْجِيلُ عَلَيْهِمُ
بِالظُّلْمِ مَعَ مَا
وَصَفُوا بِهِ مِنْ
مَرَضِ الْقُلُوبِ
وَقَسَوْتِهَا

دَلَالَةُ لَفْظِ
(الظَّالِمِينَ) عَلَى
صُنُوفِ الْكُفْرِ
وَأَنْوَاعِهِ

إِفَادَةُ لِلْمُبَالِغَةِ
فِي انْغِمَاسِهِمْ
فِي الشِّقَاقِ
وَإِحَاطَتِهِ بِهِمْ

(1) أبو حيان، البحر المحیط: 7/ 527، والآوسي، روح اللعاني: 9/ 166.

(2) الرَّمْضَشَرِيُّ، الكَشَافُ: 3/ 166، والبيضاوي، أنوار التَّنْزِيلِ: 4/ 76، وأبو حيان، البحر المحیط: 7/ 527.

(3) القُونُوِّي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 97.

الإشارة إلى
كمال البينية
والمفارقة بينهم
وبين الحق
والرشاد

إيثار لفظ «شَقَاقٍ»، والتعبير عنه بالمصدر:

الشَّقَاقُ: البُعدُ عن الخير، والكونُ في شَقٍّ غير شَقٍّ يُقابله⁽¹⁾، وفي قوله تعالى: «وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ» بين مُجانفة هذين الفريقين للحقِّ وبعدهما عن الرُّشد لا إلى غاية؛ فهذان الصَّنْفان من الضَّلَال والعداوة لأمر الله، والبُعد عن الرُّشاد والسَّداد، بما لا مَطْمَع لهما معه في النِّجاة والفوز برضا الله⁽²⁾، فكلُّ فريق منهم في شِقٍّ يُفَارِقُ الآخر؛ فالمشركون في شِقٍّ، واليهود في شِقٍّ، والمنافقون في شِقٍّ، كما أنَّ النِّفاق ضروبٌ مُختلفة، وكلُّ شِقٍّ بينه وبين الآخر مسافةٌ بعيدة⁽³⁾.

وفي التعبير بـ «شَقَاقٍ» مادةٌ وصيغَةٌ كمالٌ نفي المساواة بين المُحدَث عنهم وبين مقابلهم من المؤمنين؛ وهذه الآية تحدّرت من سياق التّفارقة بين الفريقين ونفي التّسوية الضّمنيّة بينهما من قوله تعالى: «فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، الآية.

سِرُّ وصف الشَّقَاقِ بالبعيد:

في قوله تعالى: «وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ» وصف القرآن الكريم الشَّقَاقِ بالبُعد مع أنَّ الموصوف به حقيقةً هو معروضه من الأقوال والأفكار؛ وذلك للمبالغة في انتهائه، وبيان أنَّهم غير مَرَجَوْة رجعتهم منه⁽⁴⁾.

نكتة تنكير «بَعِيدٍ»:

جاء التّنوين في لفظ «بَعِيدٍ» للتّعظيم في بابهِ⁽⁵⁾؛ أيّ: تعظيم شأن هذا البون.

(1) التّعاليّ، الجواهر الجسان: 4 / 133.

(2) المِراغِي، تفسير المِراغِي: 17 / 130.

(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4 / 76، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9 / 5007.

(4) أبو حنّان، البحر للحيط: 7 / 527، والآلوسي، روح المعاني: 9 / 166.

(5) القُنواني، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13 / 97.

المبالغة في
الدّلالة على
البون الشّاسع
والفرق الواسع

بلادة استعارة لفظ «بَعِيد» في معنى المبالغة:

البعيد هُنا مُستعملٌ في معنى البالغ حَدًّا قويًّا في حقيقته؛ وهي استعارةٌ تصرّحيةٌ جاءت تشبيهاً لانتشار الحقيقة فيه بانتشار المسافة في المكان البعيد؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ [فَصَلَّتْ: 51]؛ بمعنى دُعَاءٍ كَثِيرٍ مُلِحٍّ^(١)؛ فالأصل: في شقاقٍ مُنتشرٍ الآراء والتصورات انتشاراً مُتباعداً لا تقاربَ بينها ولا تجانس، وشُبِّهت بالتباعد المكانيّ بين الأشياء.

عُظِّمَتْ
استجابتهم
للسّيطان فكانوا
في شقٍّ بعيد

دلالة تذييل الآية بالجملة الاعتراضية:

جملة ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ جملة مُعتضة بين المُتعاطفات، وهو اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرَّرٌ ومُؤكَّدٌ لمُضمونٍ ما قبلَه^(٢)، فهؤلاء الذين ألقى بهم الشيطان في طريق الدّعوة التي يدعو بها الرّسولُ أو النّبيُّ هم مُتلبّسون بظُلْمٍ عظيم، لما هُم عليه من شقاقٍ بعيدٍ عن مواطن الحقِّ، ومن خلافٍ قائمٍ على الجُرأة والتّجرّد من الحياء في إنكار البديهيّات، وفي عدم التّسليم بها والانقياد لها^(٣).

تأكيدُ مضمون
ما قبلها من
الكلام

❁ الفروق المعجمية:

(الفتنة)، و(الابتلاء)، و(الاختبار):

الفتنة أشدُّ الاختبار وأبلغه، ويكون في الخير والشرِّ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15] وقوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ لَتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: 16 - 17]؛ فجعل النّعمة فتنة؛ لأنّه قُصد بها المبالغة في اختبار النّعم عليه بها، كالذهب إذا أريد المبالغة في تعرّف حاله أدخل النّار، والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشرِّ، وإنّما المراد بذلك شدّة التّكليف^(٤).

الفتنة الاختبار
الشّديد،
والابتلاء تحمّل
المكاره، والاختبار
يكون بذلك
وبفعل المحبوب

(1) أبو حيّان: 527 / 7، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 114 / 6.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 114 / 6، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 302 / 17.

(3) الخطيب، التّفسير القرآني: 1068 / 9.

(4) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 217.

أما الابتلاء فعادة لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق⁽¹⁾، بينما يكون الاختبار بذلك وبفعل المحبوب؛ يُقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يُقال ابتلاه بذلك ولا هو مُبتلى بالنعمة، كما قد يُقال إنه مُختبرٌ بها، ويجوز أن يُقال: إنَّ الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المُبتلى من الطاعة والمعصية⁽²⁾، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته والفرق بينهما بين، والفتنة تأتي أيضاً بمعنى الابتلاء؛، كما في قوله تعالى: ﴿الْم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾⁽³⁾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ⁽⁴⁾ [العنكبوت: 1 - 3]⁽⁵⁾.

(الشقاق) و(الخلاف):

فَسَرَّ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الشَّقَاقَ بِأَنَّهُ الْخِلَافُ: ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾؛ أي: خلاف⁽⁴⁾، ولكنَّ بينهما فرقٌ: ف"أصلُ الشَّقَاقِ العداوةُ والمُخَاصَمةُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَكُونُ شَقًّا؛ أَي نَاحِيَةً غَيْرَ شَقِّ الْآخَرِ"⁽⁵⁾، فَكَانَتْهُمْ انْقَسَمُوا إِلَى شِقَّتَيْنِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ، وَالْاِخْتِلَافُ وَالْمُخَالَفَةُ: أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِ الْآخَرِ فِي حَالِهِ أَوْ قَوْلِهِ، وَالْخِلَافُ أَعْمُ مِنَ الضَّدِّ، لِأَنَّ كُلَّ ضِدِّينِ مُخْتَلِفَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَلَفَيْنِ ضِدِّينِ⁽⁶⁾؛ فَالشَّقَاقُ أدُلُّ عَلَى الْمُعَادَاةِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّنَافُرِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ؛ فَلَيْسَ الْخِلَافُ وَالْاِخْتِلَافُ قَطْعِيًّا فِي الْمُعَادَاةِ.

في الشقاق
معنى المضادة
والمقابلة، وليس
كل مختلفين
ضدين

(1) ابن منظور، لسان العرب: (بلا)، والكفوي، الكلميات، ص: 34.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 216.

(3) مجموعة مؤلفين، نضرة النعيم: 8 / 1.

(4) الغليمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن: 244 / 1.

(5) السمين، غمدة الحفاظ: (شقق).

(6) الراغب، المفردات: (خلف).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.

مج. 35 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-732-77-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»